8. **دبلوماسية الرياضة "دور الرياضة في السياسة الخارجية المصرية"، المجلة الاجتماعية القومية المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد الحادي والستون، العدد الثاني، مايو 2024. (مقبول للنشر).**

لقد مهدت التغيرات التي طرأت على المجتمع الدولي، مثل زيادة عدد الديمقراطيات والابتكار وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، لبروز مجتمع دولي جديد؛ تطورت فيه الممارسة الدبلوماسية نحو ممارسات أكثر عمومية، يؤثر فيها كل من الفاعلين غير الحكوميين، والإعلام المحلي والأجنبي وغيرها من الفواعل المجتمعية الأخرى على العلاقات الدولية والسياسة الخارجية. وعلى ذلك، لاقت فكرة تأثير الفواعل المجتمعية العالمية على الممارسات الدبلوماسية اهتمام كبير، حيث باتت الأفكار والقيم والقواعد والصور تلعب دورًا أكبر في الممارسة الدبلوماسية الراهنة لدى كثير من حكومات الدول.

وفي هذا السياق، أصبحت الرياضة أهم أدوات الدبلوماسية الشعبية التي تسعى من خلالها الدول إلى توظيفها، بغية اكتساب شرعية سياسية دولية، ومن ثم تعزيز صحة توجهاتها السياسية والعقائدية، وذلك عبر تحويل الانتصارات في المجال الرياضي إلى انتصارات في المجال السياسي، حيث باتت الدول تصور نجاحها الرياضي باعتباره نجاح لنهجها السياسي وأيديولوجيتها وانعكاسًا لقوة الدولة ورشادة نظامها السياسي، بحيث صار المشاركون في الألعاب الرياضية أبطالًا قوميين يسهمون في تعزيز المكانة الدولية لأمتهم.

ففي أبسط صورها، تخلق الرياضة الدولية فرصًا للحكومات لإظهار أنواع مختلفة من التفوق، بدءًا بقدراتها الرياضية، إلى أيديولوجية نظام دولة معين، إلى براعتها اللوجستية في تنظيم واستضافة الأحداث الرياضية الضخمة، حيث تُدرك العديد من الحكومات جيدًا مدى وصول وتأثير وقوة المواد الأفيونية لدى الجماهير(الرياضة)، ومن ثم جُذبت الحكومات منذ فترة طويلة نحو المهرجانات الرياضية والرياضة لتحقيق العديد من الأغراض الداخلية والخارجية. وعلى ذلك، فقد أيدت جميع أنواع الحكومات المنافسة الرياضية الدولية كأرض اختبار للأمة أو للنظم السياسية؛ النازيون الألمان، الفاشيون الإيطاليون، الشيوعيون السوفيتيون والكوبيون، الماويون الصينيون، الديمقراطيون الرأسماليون الغربيون، المجالس العسكرية في أمريكا اللاتينية، كلهم لعبوا اللعبة وآمنوا بها.

فالدبلوماسية الرياضة يمكن استخدامها لتحقيق طائفة واسعة من أهداف السياسة الخارجية، فيمكن استخدامها كأداة لزيادة المواجهة عندما لا تكون العلاقات الخارجية، مع بعض الكيانات السياسية، على أحسن حال، أو حتى إذا بدأت هذه العلاقات في التحسن، كما يمكن كذلك للرياضة إيجاد وتعزيز وتيرة الزخم الدبلوماسي. فمنذ أن نظم الحلفاء أول مقاطعة في المجال الرياضي عشية الحرب العالمية الأولى، أصبحت الرياضة لعبة سياسية دولية، حيث باتت أداة دعائية سياسية ووسيلة لممارسة الضغط وتحقيق المصلحة الوطنية.

وعلى هدي ما سبق، لم تكن الدولة المصرية بمعزل عن التطورات التي حدثت في استخدامات المنظومة الرياضية، سواء فيما يتصل بالشأن الداخلي للدول أو فيما يتصل بالشأن الخارجي والسياسة الخارجية، فدائمًا ما حاولت الحكومات المصرية توظيف الرياضة في سياستها الداخلية من أجل كسب الشرعية، وكأداة للتصريف السياسي، وكذلك في سياستها الخارجية من أجل تحسين الصورة الدولية لمصر، وجذب الاستثمارات في المجال الرياضي والاقتصادي عمومًا، والترويج السياحي وغيرها من الأهداف.

تمثل هذا الاهتمام المصري بالمنظومة الرياضية وتوظيفها في مختلف الممارسات على المستويين المحلي والدولي، في نص الدستور المصري عام 2012 على أن "ممارسة الرياضة حق للجميع وعلى مؤسسات الدولة والمجتمع اكتشاف الموهوبين رياضيًا ورعايتهم، واتخاذ ما يلزم من تدابير لتشجيع ممارسة الرياضة"، وحتى بعد ثورة تصحيح المسار عام 2013، صدر دستور عام 2014، ليكرر نفس الصياغة ومؤكدًا على البعد الدولي في تنظيم الرياضة المصرية وفقًا للمعايير الدولية.

وفي العقود الأخيرة، استخدمت مصر الدبلوماسية الرياضية كوسيلة للتأثير على السياسة الدولية؛ استضافت مصر معظم البطولات الدولية لمختلف الألعاب الرياضية، وربما كان آخرها كأس العالم لكرة اليد وبطولة العالم للرماية وبطولة العالم للسلاح وبطولة العالم للخماسي الحديث وغيرها من البطولات العالمية والقارية. وقد وفرت هذه الأحداث فرصة للالتقاء الدبلوماسي وبناء العلاقات وتعزيز روح التعاون والتفاهم مع كثير من دول العالم.

وتأسيسًا على ذلك، تتمثل إشكالية دراستنا الراهنة في محاولة الكشف عن مدى استخدام الحكومات المصرية للرياضية في تحقيق أهداف السياسة الخارجية، وذلك من وجهة نظر عينة الدراسة، وكذلك تبيان ما إذا كانت هذه الاستخدامات للدبلوماسية الرياضية تأتي أُكلها في تحقيق أهداف السياسة الخارجية للدولة، مع تبيان ما إذا كانت للدبلوماسية الرياضية تأثيرات سلبية على السياسة الداخلية والخارجية للدولة.

اعتمدت الدراسة بشكل أساسي على منهج المسح الاجتماعي، بالعينة، وكذلك على دليل المقابلة المتعمقة واستمارة الاستبيان كأدوات لإجراء الدراسة الميدانية، حيث تم إجراء 7 مقابلات متعمقة مع خبراء رياضيين من رياضيين سابقين وحكام وإداريين (تم اختيارهم بطريقة كرة الثلج)، في حين بلغ عدد من استجابوا لدعوة تعبئة الاستبيان 420 مفردة، حيث تم اختيارهم بطريقة عمدية، وكذلك عن طريق كرة الثلج. وعلى ذلك، جاءت أهم نتائج واستخلاصات الدراسة على النحو التالي:

1. أكدت نسبة كبيرة من عينة الدراسة على أن الدولة المصرية توظف وتستفيد من الأنشطة الرياضية التي تُمارسها الفرق الوطنية (في الرياضات الفردية والجماعية) في تحقيق أهداف السياسة الخارجية.
2. هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين متغيري العمر والنوع وبين رؤية عينة الدرسة لاستفادة الدولة من النشاطات الرياضية لفرقها الوطنية، كما لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين متغير المؤهل الدراسي وبين رؤية عينة الدرسة لاستفادة الدولة من هذه النشاطات.
3. إلى جانب الأهداف الضمنية التي تغطيها الدبلوماسية الرياضية المصرية، والمتصلة بالأهداف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، هناك العديد من الأهداف الصريحة لهذه الدبلوماسية، والتي قد تقودها أو تدعمها وزارة الخارجية، وهي تتضمن بالأساس جوانب سياسية تتصل بالحصول على التأييد والشرعية والاعتراف الدولي، وكذلك فتح قنوات رسمية للممارسة الدبلوماسية، وتخفيض وتيرة العداء السياسي أو تأجيجه (بحسب توجه الإرادة السياسية).
4. هناك عدد من الاستراتيجيات والإمكانات التحويلية التي تستخدمها الدولة من أجل تحويل الموارد الرياضية إلى نتائج دبلوماسية ضمنية وصريحة تتصل بإظهار التفوق الاقتصادي والثقافي والسياسي للدولة، وهي: التنظيم الجيد للبطولات المحلية والإقليمية والدولية المهمة، الأداء المميز للرياضيين المصريين ممثلًا في الفوز بالبطولات الرياضية الدولية، السفراء الثقافيين، وذلك عبر استعراض التراث الثقافي والاجتماعي الوطني في احتفالات البطولات الرياضية الدولية والمحلية، وكذلك عبر إظهار الأخلاق الحميدة داخل وخارج الملاعب الرياضية في البطولات الدولية، وأيضًا

استخدام أفضل التقنيات الحديثة في التنظيم والتجهيز للبطولات الدولية المهمة، وأخيرًا الفوز بتنظيم البطولات الدولية المهمة.

5. هناك عدد من الرسائل الدبلوماسية المتناقضة التي قد تستهدف الدولة إرسالها، إلى عدد من الكيانات الدولية المختلفة، من خلال دبلوماسيتها الرياضية، منها: إرسال رسائل سياسية إيجابية للأصدقاء والأشقاء الدوليين، إظهار التأييد لبعض لممارسات بعض الكيانات الدولية، إظهار الرفض لممارسات بعض الكيانات الدولية، وكذلك إظهار العداء لإحدى أو بعض الكيانات الدولية.
6. وبالتحول إلى مخاطر الدبلوماسية الرياضية، فإن أكثر من ثلاثة أرباع عينة الدراسة يرون أن الدبلوماسية الرياضية ربما يترتب عليه مخاطر سياسية داخليًا وخارجيًا.
7. يمكن رصد التأثيرات السلبية على الدولة، والتي قد تنجم عن الدبلوماسية على النحو التالي: التشاحن والعداء بين الشعوب جراء نتائج المشاركات الرياضية الدولية، الاضطرابات التي قد تتبع فوز/ هزيمة بعض الفرق الرياضية، تأثير نتائج المشاركات الدولية على الروح العامة لدى المواطنون المتابعون للأحداث الرياضية، إظهار الضعف السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي خلال المشاركات في الرياضة الدولية، كسب العداء بين حكومات الدول جراء نتائج المشاركات الرياضية الدولية.